فكرة... عبر الأوساط الاعلامية... فالانتباه الذي أعير لهم و ' لقضاياهم' يضفي الرومانتيكية على التفاهة، ويضفي التفاهة على الجدية... ومهما تكن آخر قضية رفعوا شعارها ـ سواء ضد الحرب، أو ضد القوة النووية، أو ضد القوة العسكرية، أو ضد الأعمال التجارية ـ فانها، بلا تحديد، قضية ضد مصلحة الولايات المتحدة على مسرح صراع الحرب العالمية الثالثة» (ص ٣٤٤). وكونه أحد ضحايا النخبة المثقفة في الولايات المتحدة التي كشفت فضيحة «ووترغيت» تلاحظ نغمة الحقد على هذه الفئة؛ اذ قال: «ان احدى امتيازات الطبقة المثقفة، التي تدعو الى الاستغراب، هي حريتهم في ارتكاب الخطيئة بشكل مفضوح دون أن يسيئوا الى سمعتهم... كما أنهم يلقون اذاناً صاغية باحترام... وهذا ما أصبحت عليه الحالة لكثير من أبناء المؤسسة الثقافية في أميركا خلال معظم هذا القرن... [و] لا شيء يمكن أن يدافع عن مجتمع من نفسه، اذا كان مئة ألف من رجال ونساء طبقته العليا هم صانعو القرارات، والذين يساعدون على تحديد تفكير صانعي القرارات، وهم المصممّون على الاستسلام » (ص ٣٤٣). وهذه الفئة ـ حسب الكاتب ـ «ستظل على ما هي عليه خلال هذين العقدين الحرجين من الزمن؛ والذي ينبغي علينا أن نفعله هو تنبيه اولئك الذين يمارسون القيادة، واتعاظهم لكي يتحمّلوا مسؤوليات القيادة» (ص ١٠ ـ ١١)؛ فهل هي دعوة الى العودة الى «المكارثية» التي سادت في الولايات المتحدة في الخمسينات، حين كان الكاتب نفسه نائباً للرئيس؟

وربط نيكسون في استخلاصاته لما يجب أن يقوم به الرئيس الأميركي ونظرته العالمية فيما بين «مدى فهمه واجادته لاستخدام السلطة، وتمرّسه بالأساليب الدبلوماسية، وحيازته للرؤية الاستراتيجية، والحنكة والارادة... [وهي] عناصر حيوية، بل لا بدّ منها من أجل تنفيذ ذلك» (ص ٦)؛ ولكي يواجه الرئيس الأميركي التحدي السوفياتي، عليه «أن يستخدم كل ما في حوزته من قوة بطريقة فعالة ومسؤولة... من أجل ضمان بقاء الأمة، ومستقبل العالم الحرّ» (ص ٣٥٣)؛ وحدد الوسائل الضرورية للرئيس كي يتمكن من ادارة الصراع بنجاح، حيث «عليه... ألا يقدم الى خصومنا، أبداً، شيئاً يريدونه، ما لم يحصل منهم على شيء نريده؛ وفي الوقت الذي يحترم مبدأ الانفتاح، الذي يبدو عملياً، عليه أن يحافظ على السرية ما اقتضت الضرورة ذلك؛ وأن يعي ان جمع الاستخبارات وتسيير النشاطات السرية يسوّغان من حيث منعهما لوقوع الحرب بقدر ما يسوغان من أجل شنها؛ وأخيراً ينبغي عليه أن يقبل بواقع أن الكمال الأخلاقي في ادارة شؤون الأمم لا يمكن توقعه، ويجب ألّا يكون مطلباً» (ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

ومن خلال تجربته الشخصية خلال ثلث قرن من الزمن، ذكر نيكسون، في كتابه، انه اذا «كان لي أن أرسم لوحة مؤلفة من عشرة قواعد أعلقها على الجدران الداخلية للبيت البيضوي لخلفائي كي يتبعوها خلال سنوات الخطر المقبلة، فستكون كالآتي: ١ ـ كن، دائماً، على استعداد دائم للتفاوض، ولا تتفاوض دون أن تكون مستعداً؛ ٢ ـ اياك أن تكون مولعاً بالقتال، وتمسك دائماً بالثبات؛ ٣ ـ تذكّر، دائماً، أن الموافقة على الصكوك يجب أن تتمّ، دائماً، بصورة علنية، ويتمّ التفاوض عليها بصورة سرية؛ ٤ ـ لا تسع، أبداً، الى العلنية التي تقضي على القدرة على تحقيق النتائج؛ ٥ ـ لا تتخلّ، ابداً، من جانب واحد، عمّا يمكن استخدامه كورقة مساومة، ودع خصومك يقدمون شيئاً ما لقاء كل شيء يحصلون عليه؛ ٦ ـ لا تجعل خصومك، أبداً، يقللون من قيمة ما قد تفعله رداً على التحدي، ولا تعلمهم مسبقاً بما قد لا تفعله. [والجدير ذكره أن الرئيس الحالي، جورج بوش، قد بدأ أولى تصريحاته بالقول: ' تعلّمت ألّا أقول أبداً ما سأفعله وما لن أفعله' [**الحياة**، لندن، ١٥/٢/١٩٨٩]؛ ٧ ـ اترك لخصومك، دائماً، خط عودة ينقذ ماء وجههم؛ ٨ ـ عليك أن تميّز، دائماً، بدقة، بين الأصدقاء الذين يقدمون بعض الحقوق الانسانية، وبين الأعداء الذين ينكرون جميع الحقوق الانسانية؛ ٩ ـ اعمل، دائماً، من أجل أصدقائنا على الأقل بقدر ما يفعله خصومنا لأعدائنا؛ ١٠ ـ لا تفقد الايمان، أبداً، ففي القضية العادلة يمكن للايمان أن يحرّك الجبال، ولا جدوى في الايمان بدون قوة، لكن القوة بدون ايمان عقيمة» (ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥). واضاف الى وصاياه العشر، آنفة الذكر، وصية أخرى يُطلَب من الرئيس ابقاؤها بعيداً من رأي الآخرين، وهي: «عند القول ' دائماً' و ' أبداً' عليك أن تبقي ' دائماً' على تحفظ ذهني، ولا تكشف ' أبداً' الاستثناء الوحيد، وأن تفسح في المجال، بشكل دائم، للمناورة ... وعلى الرئيس أن يكون، دائماً، على استعداد لما كان ظن انه لن يفعله